مقدمة

ما أعظم أن يعرف المرء نفسه !!

المعنى العلمي لمعرفة النفس، هو كشف ما فيها من مزايا قائمة، وتشخيص ما بها من جوانب الضعف والنقص... وهذا هو الأساس الضروري لعملية بناء الشخصية، وتنميتها، وتطويرها، وعلاج المعتل منها، واستكمال ما فيها من قصور، ومن ثم تتحسن صورة المرء لنفسه، فيزداد احتراماً لها، واعتداداً بذاته، وسمواً بها عن الصغائر... وفى نظر زوجته، فتشتد تعلقاً به وإعجاباً... وفى نظر أولاده فيقوى تأثيره عليهم كقدوة صالحه ويؤدى رسالته الأبوية بسهولة وكمال... وفى محيط العمل، فيفوز بثقة الرؤساء أو العملاء، وتقدير المسئولين... وأمام مخالطيه، فيجد منهم التعاون والتعاطف والاعتبار... وبمعنى أصح، يملك مفاتيح النجاح.

معرفة المرء لنفسه، تتطلب أن يتحقق من صورته في عيون الناس، وكيف تتأثر هذه الصورة بالمظهر والمخبر، والإيماءات، والثقافة العامة. المقصود بمظهر الشخص: ملبسه، وشعره ولحيته وشاربه، وزينته، والمقصود بمخبره : مكنون طويته أو سماته التي يفضحها سلوكه: أناني أم غيور، قاس أم عطوف، موثوق به أم مشكوك فيه، مستبد أم ديمقراطى، مكتف ذاتيا أم نزاع للديون، روحاني أم مادي، متشائم أم متفائل، متكبرأم متواضع، منطوٍ أم منبسط؟... ثم هل هو زوج مثالى، موضع فخر لأولاده، مبدع، مقنع، مرهف الشعور، يجيد العمل الجماعي، له حصيلة وافرة من المعلومات العامة؟ وبمعرفة المرء لغيره- سواء بالفراسة أو

obeikandl.com

بأسلوب الاختبار- يسهل له التعامل مع الناس، ويجنبه كثيراً من المشكلات بل ربما الأخطار.

صورة الشخص أيضاً تتأثر بحركاته، وإشاراته، وإيماءاته، ولهجة حديثه- الإيماءات المستهجنة، تخفى وراءها مشاعر الكراهية والعدوان، والميول البغيضة الدفينة في أغوار النفس، كما تشي عن سوء المنبت والتربية أحيانا. والإشارات المستحسنة تكشف عن خلفية عريقة، وأخلاق كريمة، وثقافة عالية، ونفس فاضلة، كذلك لهجة الحديث، إلا أن لهجة الحديث أكثر صدقاً في تحديد البيئة جغرافيا.

لم ينطفئ ظمأ حب معرفة الذات، بأي حال من الأحوال، في أي وقت من الأوقات، بل أصبح هذا الحب نوعاً من الإصرار، حتى أن البعض شك فى جدواه. من هؤلاء" **أندريه جيد** " الذي قال: إن كثرة تفرس المرء فى ذاته وعقله يعطل تطوره. وأضاف أن اليرقة التى تتعمق فى ذاته لتعرف نفسها جيداً لا تستطيع أن تصبح فراشة، لكن- بصفة عامة- مازال الاعتقاد سائدا، بأننا كلما ازداد فهمنا لدوافعنا الشخصية الكامنة وراء طرق سلوكنا أمكننا التنبؤ بردود أفعالنا، والتعرف على طبيعتها، مما يقربنا من السعادة، أو يجعلنا- على الأقل- راضين عن أنفسنا.

ولموضوع معرفة النفس علاقة بارتداد الحياة المدنية فى القرن العشرين، من أهم مظاهر الارتداد، أن الحياة المدنية العصرية تميل إلى إصابة حواس الإنسان بالبلادة، ويعود ذلك بصفة جزئية إلى اعتمادنا على مختلف أنواع الماكينات التى تؤدى لنا ما كان يتوجب علينا أداؤه بأنفسنا فى العصور الأخرى. نحن نستطيع الجلوس جامدين أمام جهاز التليفزيون. وعلى شاشته نرى مشاهد مجسمة تسرنا وتسلينا، كنا قبل التليفزيون نتخيلها من واقع قراءة الكتب والروايات. هذا يعنى أن متعة تخيل الشخص الخفية المقروءة- كما يحلو لنا- لم تعد موجودة. كنا نشترك مع المؤلف بإعادة رسم

الشخصيات وإضافة ما يتصوره خيالنا. وكنا نتمتع بحرية الحركة دون خشية أن يفوتنا مشهد، فنفعل ما نريد، بينما يتحتم علينا أن نجلس أمام الجهاز ونلتصق بالمقعد حتى لا يفوتنا من الرواية مشهد يفسد سياق القصة.

قبل أن يضع حاسب الجيب الآلي حلول أعقد العمليات الحسابية فى متناول أصابعنا، كان محتم علينا إيجاد نوع من العلاقات بين تفكيرنا وبين الأرقام... وقبل المواصلات الميكانيكية، كنا نعتمد على أرجلنا، أو نعقد تآلفاً مع مخلوق حي آخر كالحصان أو الجمل، والرنة والكلب أحياناً، لينقلنا من مكان الى آخر، وكنا نمشى أو نركب فى طرق خيالية بما يكفى لاستجلاء الطريق حولنا ، بحيث لا نصاب فى حوادث ازدحام المرور... ليس هذا الكلام من قبيل التذمر ورفض الحياة المعاصرة، فقليل من الناس إذا فكروا بروية، اختاروا لو عاشوا فى أى عصر غير القرن العشرين، ربما كان الشعور بأننا لسنا مغرمين بالانغماس فى الحياة، هو الذى يجعلنا لا نعرف أنفسنا بالقدر الذى كان أسلافنا يعرفون أنفسهم بالسليقة، الأمر الذى أدى إلى نشوء عمليات وحركات تهدف إلى معرفة النفس، وإيجاد التناغم بين علاقات الفرد وعملياته الحيوية، وزيادة قدرته على الإنجاز بما أوتى من الخبرة والذكاء.

فى الكتاب معلومات تجمع بين آخر نظريات علم النفس، وصور الإنسان فى مختلف الحضارات. وقد تطرق فى هذا المجال إلى موضوعات جمة، منها الطريقة التى تؤثر بها صحة الجسم أو ضعفه على العقل، وكيف يمكن قياس الذكاء، ودلالات إشارات الجسم... إلخ .

هؤلاء الذين يشعرون أساساً بعدم التأكد من شخصيتهم، مستعدون لالتقاط أية نظرية تعطيهم الأمل فى إزالة شكوكهم حول أنفسهم، ولذا سرعان ما يبتلعوا النظرية... وهذا خطأ، والصحيح أن تقرأ كل النظريات لتكوين خلفية معلومات جيدة تضيء لك

obeikandi.com

طريق الذات، وتساعدك على إعادة اكتشاف الدوافع التـــى تحكـم تصرفاتك، وتيسر لك تحليل ســـلوكك بنفســك، وتحديـد موقفــك الاجتماعي وطريقة حياتك وأساليب معيشتك... تجــوب بــك فـــى عالــم شخصيتك. وترسو بك فى النهاية علـــى مرافـــئ الحــب، والذكاء، والصحة والنجاح.

وفى الكتاب أيضاً ملاحقة لجهود علماء الفراســـة فـــى كشــف أسرار هذا العلم، منذ وضع "فيثاغورث" بذوره، وترك مهمة العناية بالنبتة إلى "أبو قراط" ، و"أرسطو" من بعده، ثم الرازى، وكاســـبر لافاتر، وبيل، ودارون، وكريتشمر وغيرهم ممن استهواهم البحــث فى علم الاستدلال على أخلاق الناس وطباعهم من التفـــرس فـــى مظاهر أجسامهم، وتعبيرات وجوههم، ومـــا يبدونـــه مـــن أنـــواع السلوك. ولاشك فى أن معرفة أخلاق وطباع الآخريـــن ، أمـــر لا يقـــل أهمية عن معرفة النفس، إن لم يكـــن يزيـــد... لأن معرفـــة الأخلاق والطباع والخصائص والسمات، ضـــرورة لابـــد منـــها، لاصطفاء الأخيار من المخالطين، والوقاية من سلبيات الآخريـــــن، ومعاملة كل فرد بما يناسبه، ليتهادى زورق الحياة فى سلام ووئام.

أحمد جمال الدين الكاشف

obeikandl.com

علاقة الجسم بالشخصية

أطوار علم الفراسة

◆ قديمة هى النظرية القائلة بأن جسم الانسان يكشف عن شخصيته؛ التى تمتد جذورها الى أعماق التاريخ. ولعل **قدماء المصريين** كانوا على دراية بعلم الفراسة، بدليل ما جاء فى بعض أوراق البردى التى يرجع تاريخ كتابتها الى حوالى ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد، فى عصر الأسرة الثانية عشر.

◆ ويذكر أن الشاعر اليونانى"**هوميروس**" كتب شيئاً منها فى حوالى القرن العاشر قبل الميلاد، وقد جاء في الإلياذة وصفه لترسيتس ما استدل به من أوصافه الظاهرة على أخلاقه الباطنة.

وفى القرن السادس قبل الميلاد، وضع الفيلسوف الإغريقي"**فيثاغورث**" بذور علم الفراسة.

وجاء بعده "**أبو قراط**"الذى عاش بين عامي ٤٦٠-٣٥٧ ق.م. وقال: إن البيئة هي التى تشكل الميول، والأخلاق، والألوان، والملامح. وقسم الناس تبعاً لكيمياء الدم الى أمزجة أربعة هى:

- المزاج الصفراوي: حاد الطبع.
- المزاج السوداوي: مكتئب.
- المزاج الليمفاوي: بارد جاف.
- المزاج الدموي: مرح .

◆ وذكر المؤرخ اليوناني"**يوسيفوس**" أنه استنتج نفاق الإسكندر الأكبر من النظر إلى خشونة كفيه.

◆ وكتب "**جالينوس**" الفيلسوف اليوناني بإطناب فى علم الفراسة.

◆ نسب بعض الباحثين نظرية الأخلاط أصلا الى الفيلسوف"**السيمون**" وقالوا: إنه ربط الصحة الجيدة بتوازن الأخلاط التى تتكون من سوائل الجسم، وهى: الدم، والبلغم، وإفرازات المرارة الصفراء، والسوداء. فإذا تغلب أحد هذه السوائل، وزادت نسبته فى الجسم عن السوائل الأخرى، نتجت شخصية السائل الغالب: الدموية بزيادة الدم، والسوداوية بزيادة السوداء، وغير ذلك.

نظرية أرسطو: ولعل أول كتاب فى علم الفراسة، كان محاولة منسوبة الى "**أرسطو**"فى القرن الرابع ق.م. عنوانه "**الفراسة**"يضم ستة فصول. يصف فيها مختلف أعضاء الجسم، ويزعم أنها تكشف الأخلاق والطباع، وعرض فيه كيف أن للشجاعة

obeikandl.com

والجبن، والحماقة والحكمة، والذكاء والغباء والقوة والضعف، علامات فى الجسم تدل عليها، كما تشير إليها أيضاً: الملامح، والألوان وأشكال الأعضاء والقامة والشعر والصوت، ومقابلة أوجه الناس بأوجه الحيوانات، وإطلاق أخلاق الحيوانات على شبيهه الإنسان.

◆ هناك من يرجحون أن"**أرسطو**" ليس المؤلف الأصلي، وأن المؤلفين الحقيقيين نفر من تلاميذه، جمعوا المعلومات من فحص واختبار الحيوانات المعينة، وحللوا الخصائص الجسدية المشتركة، والإشارات، والحركات، والألوان، وتعبيرات الوجه، ونمو الشعر، وحالة الشحم واللحم، وبنية الجسم بشكل عام. وقادهم هذا النوع من الملاحظة والربط بين الخصائص والحركات والسمات إلى عدد من الأحكام الثابتة، منها مثلا أن:

◆ **للشخص الشجاع** قامة معتدلة، وشعر خشن، وعظام ضخمة قوية، وبطن عريض مسطح، وعنق نحيل، وصدر عريض ممتلئ، وعيون براقة، وجلد جاف، وجبهة صغيرة مستقيمة، لا هى مجعدة، ولا هى ناعمة جدًا.

الرجل النموذجي فى نظره، هو الذى يشاطر الأسد فى كثير من صفاته: فم وسيم الشكل، وجه مربع غير بارز، أنف يميل إلى الغلظة، عيون عميقة براقة، لا هى مفرطة الاستدارة ولا كثيرة الاستطالة، جبهة مربعة غائرة قليلاً من الوسط معلقة كالسحابة فوق الحاجبين، والرأس متوسط الحجم ، والرقبة طويلة عريضة، وشعر العنق أسمر مصفر لا هو جاف ولا مجعد، والكتفان قويان، والصدر عريض، والجذع قوى مرن، لا شحم على جانبى الفخذين، والأرجل مستقيمة، والجسم كله خال من الشحم الزائد، يمشى بتأن، ويتحرك برشاقة، مظهره الخارجى إجمالاً يدل على سجايا كريمة نبيلة متسامحة، يحبّ الانتصار، ولكنه عادل لطيف المعشر؛ عطوف على الآخرين.

المرأة المثالية تمثلت صورها فى النمرة. أشجع إناث الحيوانات، فهى المرأة الشجاعة التى تشبه النمرة تماما: صغيرة، تفيض خفة ورشاقة وحيوية، قوية الحواس، مخادعة، تزيد على الرجل خداعا، وتقل عنه شجاعة.

وناقش كتاب" **الفراسة**" لأرسطو خصائص أخرى موضحا مدلولاها، منها:

◆ الشعر الصوفى يشير إلى الجبن.

◆ المشى بثبات العجز مع الأكتاف، دليل التبجح.

◆ انحناء الأكتاف مع الميل إلى الأمام أثناء المشى دليل على قدرات عقلية عظيمة.

وسواء كان "**أرسطو**" هو الذى ألف كتاب"**الفراسة**" أو تلاميذه، فإن أرسطو هو الذى فاز بلقب ريادة هذا المجال.

رأى بولمون: جاء"**بولمون**" فى القرن الثالث قبل الميلاد، وترأس أكاديمية "**أثينا**" وألف كتابا شاملا ، يحتوى على حوالى سبعين فصلا عن الفراسة بكل جوانبها . تناول فى الفصل الثانى منه أوجه التشابه بين الإنسان وما لا يقل عن ٩٢ حيوانا، ثم مضى يخصص فصولا لكل أعضاء الجسم تقريبا: من قمة الرأس إلى أخمص القدم. كما وصف مختلف درجات لون الشعر والبشرة، وذكر معانى نمو أو عدم نمو الشعر على مختلف أجزاء الجسم، وقدم مختلف أوصاف أنماط الرجال، وما تكشفه علامات أجسامهم الخارجية من خصائص داخلية. واستعرض فى الفصلين الأخيرين بزهو، كيف أن الإغريقي أنقى أجناس الرجال، وأضفى عليه أوصافا تفصح عن تعصب واضح.

الملاحظ أن كلا من"**أرسطو**" و"**بولمون**" أوليا فى كتابيهما اهتماما كبيرا.

جالين يضم النظريتين: في القرن الثانى الميلادى أدلى "جالين" بدلوه فى دراسة الفراسة. ضم نظرية الأخلاط لأبي قراط، ونظرية العناصر الأربعة "**لأمبيدوكلس**" من جهة، إلى نظرية"**أرسطو**" عن دلالات أعضاء الجسم، فى محاولة جادة لربط خصائص الإنسان بنفسيته وتوازن أخلاطه معاً. وهكذا نشأت علاقات معقدة بين الكون اللانهائي الكبير، والإنسان ذلك العالم الصغير. وفى الوقت نفسه تكرر بحث هذه النظريات وتطويرها، بواسطة عدد كبير من فلاسفة الإغريق والرومان. وظهرت أفكار جديدة عن المظهر والخصائص وأمكن تصنيف التنوع اللانهائي للبشر إلى نوعين:

- أفقيون، أكثر عددا.
- ورأسيون، أكثر مادية وواقعية.

وظلت علاقة الظواهر الجسدية بالظواهر النفسية موضوع اختبار وتجريب العلماء. وثبت بطلان ما ذهبت إليه نظريات الأخلاط.

الفراسة عند العرب: اعتقد عرب الجاهلية بأشياء من قبيل الفراسة هى:

- **القيافة:** وهى الاستدلال على أحوال الإنسان بالنظر إلى جلود الناس، وهيئات الأعضاء، خصوصا الأقدام، وكذلك الاستدلال بذلك على الأنساب.
- **الريافة:** وهى معرفة مدى عمق الماء فى باطن الأرض، بشم التراب، ورؤية النبات والحيوان، ومراقبة حركاته.
- **العيافة:** وهى تتبع آثار الأقدام والحوافر والأظلاف والأخفاف فى الطرق الرملية والطينية وغيرها مما تتشكل بشكل القدم.
- **الاختلاج:** وهو الاستدلال على ما سوف يحدث لإنسان من النظر إلى اختلاج أعضائه من الرأس إلى القدم.

obeikandi.com

◆ وإلى جانب ذلك كان العرب فى الجاهلية يعتقدون فى ميتافيزيقيات:

كالكهانة، والعرافة، والنجامة، والتطير، والتفاؤل والتشاؤم، وقد حرم الإسلام تلك، بينما لم تعترض مبادئه على الفراسة باعتبارها استدلال بالأحوال الظاهرة على الأحوال الباطنة للإنسان، وهذا يشجع العلماء المسلمين على دراسة الفراسة من حيث: قراءة ملامح الوجه، ولون الشعر والبشرة، وشكل الجسم والأطراف، وطريقة المشى والصوت، وإيجاد أوجه الشبه بين الإنسان والحيوانات، وعلاقة ذلك بالخصائص المشتركة، وتحدثوا عن الأخلاط بوجه عام. من هؤلاء العلماء: الرازى، وابن رشد، وابن سينا، ومحمد بن الصوف، وابن القيم، والشافعى، وابن عربى، وأبى عبد الله شمس الدين الأنصارى، ومحمد بن غرس الدين خطيب الحرم النبوى، وزين العابدين المرصفى. نقلوا علم الفراسة عن اليونان والرومان، وألفوا كتبا مستقلة، أصبحت فيما بعد مراجع لعلماء أوربا فى القرون الوسطى.

فراسة الإمام الرازى: يعتبر الإمام فخر الدين الرازى من أغزر علماء المسلمين بحثا فى هذا المجال.عاش ما بين عامى ١١٥٠-١٢١٠م. لخص كتاب أرسطو وزاد فيه. وأفرد بين مؤلفاته الكثيرة كتابا عنوانه "**الفراسة**". يتكون من ثلاث مقالات:

◆ **الأولى:** تعريف الفراسة و المزاج، وبيان فضيلة هذا العلم فى القرآن و السنة والفعل، وإيضاح أقسامه: وعرف موضوع الكتاب بأنه الاستدلال بالأحوال الظاهرة فى الجسد على الأحوال الباطنة.ثم بين وسائل الاستدلال، وسلط الضوء على"**صناعة القيافة**"، وهو الاستدلال على معرفة الإنسان، وحصول النسب، وآثار الأقدام، وتقصى الأثر. وشرح طرق معرفة أخلاق الناس.

◆ **الثانية:** عدَّد الرازى فى هذه المقالة علامات الأمزجة الكاملة،ليتوصل بها إلى معرفة كل من: الاعتدال، والاختلال.

◆ **الثالثة:** تناول فيها دلالة الأعضاء الجزئية ، على الأحوال النفسية ، فى سبعة عشر فصلا.

مايل سكوت: كان يعمل فى بلاط الملك فردريك الثانى. ألف كتابا عن الفراسة، تأثر فيه بقراءته لكتب العلماء العرب، التى كانت قد ترجمت فى ذلك الحين إلى اللغات الأوربية، صدر الكتاب عام ١٢٧٠، وجاءت مادته خليطا من الفراسة و علوم النسك والتوقع.

اختبارات دى هورت: ألف "**جوان دى هورت**" عام ١٥٧٥ كتابا عن الفسيولوجى والسايكولوجى تحت عنوان"**اختبار مواهب الرجال**"، وهو مبنى على اعتبار فرضية قديمة مؤداها: أن للبرد تأثيرًا سيئا على العقل، بينما الجفاف يزيد القدرة

على الفهم، والرطوبة تجعل الذهن مرنا، فتساعده على وضوح الذاكـــرة، كمـــا أن الحرارة تنشط الخيال. لذا فإن سمو الإنتاج العقلى يتطلب خلط الأنواع بنسب متوازنـة حتى فى التزاوج.

واعتقد "**هورت**" بوجود علامات لهذه النسب. فالجرأة- مثلا- إشارة مؤكـــدة إلى حرارة زائدة، يستتبعها نشاط زائد، وسعة خيال .. واليد الرطبة أو زيـــادة رطوبـة العينين، تعنى التردد وعدم استقرار الرأى... والأيدى أو الأقدام الباردة، تعـــنى قـدرة ذهنية محدودة.

وغطى "**هورت**" بنظريته أبعاداً تربوية، فقال: إن النساء يتصفن بالبرد والرطوبـــة. ولذا فإنهن محدودات الفهم والخيال، بينما يتميز الرجال بالحرارة والجفاف. وأضاف أن معرفة الخصوبة تتوقف على قياس درجة الجفاف والحرارة بعنايـــة، وكـــذا الـــبرودة والرطوبة. وأوصى بضرورة مواءمة هذه النسب بدرجاتها عند التزاوج.

وقال: "المرأة الباردة الرطبة،ذات الإشارة الماكرة، والحالـــة السيئة، والصـوت المزعـــج، واللحم الكثيف، واللون الأسمر، والشعر الغزير،تحمل مـــن رجـــل طيـب الأحوال، مليح الصوت، أبيض البشرة، هادئ الطبع، دمث الخلق، خفيف الشعر" .

وقال هورت : إن للصوت دلالات على الشخصية أيضا:

- **الصوت الطلق العذب**: يشير إلى المرونة، وحسن التكيـــف مـــع الظـــروف الاجتماعية و العكس بالعكس.
- **الصوت الخشن المعرفى**: دليل على الميل إلى العصبية.
- **الصوت اللاهث متلاحق الأنفاس**: دليل على عدم الاستقرار الوجـــدانى، أو البؤس العاطفى، و الضياع الاجتماعى.
- **الصوت الأنفى المنتحب**: أصحاب هذا الصوت على قمة المرشحين للأمـــراض العصبية و النفسية.

واهتم "**هورت**" بدراسة لون البشرة وعلاقتها بقياس درجة الحرارة والجفاف عنـــد الرجال، ومدى ما يعنيه ذلك من خصوبة أو عقم. وفيما يلى مثالين عـــن **الألـــوان ودلالاتها:**

- إذا كان لون الجلد بنيا محروقا، أو أسمر يشبه الرماد، كان الرجل عالى الجفـــاف والحرارة.
- إذا كان اللون أبيض، كانت الحرارة قليلة، والرطوبة كثيرة.

وللشعر دلالات على المزاج:

◆ شدة سواد الشعر وطوله على الضلوع حتى السرة، علامة على قدر كبير من الحرارة والجفاف.

◆ إذا امتد الشعر إلى ما فوق الأكتاف، يمثل تأكيدا على عنصر الرجولة.

◆ إذا كان شعر الرأس واللحية كستنائيا، طريا، ناعما، دل ذلك على حرارة وجفاف أقل.

لقد زاوج "**هورت**" بين الرجال والنساء على الأساسين: المزاجى والجسمانى معا، مستخدما فى ذلك فرضية قديمة راجت أفكارها فى القرنين الأول والرابع بعد الميلاد، وهى "**التزاوج فى الكاماسوترا**".

هذه الفرضية قسمت الرجال من حيث حجم الأعضاء التناسلية إلى:

أرنب، وثور، وحصان. وعلى نفس الأساس قسمت النساء إلى: غزال، وفرس، وفيل.

◆ الزواج المثالى، يتم بين طرفين متقابلين من نفس الدرجة.

◆ الزواج العالى، زواج امرأة برجل ذى عضو تناسلى أكبر.

◆ الزواج المنخفض ، زواج امرأة برجل ذى عضو تناسلى أصغر.

معنى ذلك أن:

◆ الحصان والفرس يتمتعان بزواج عالٍ.

◆ الحصان والغزال يتمتعان بزواج أعلى.

◆ الأرنب مع الفرس يكونان زيجة منخفضة.

◆ الأرنب مع الفيل زيجة أكثر انخفاضاً.

هذه التقسيمات وضعت على أساس المتعة الجنسية، أكثر مما هى لاحتمالات الحمل، وقد قسمت الرجال والنساء على السواء إلى فئات من حيث قوة الشهوة الجنسية إلى: صغيرة، متوسطة، وشديدة.. وحسب وقت الجماع إلى: قصير ومتوسط، وطويل.

لذلك فإن تزاوج الأرنب والغزالة- وهما من نفس درجة الشهوة، وطول وقت الجماع هو التزاوج الأكمل والأنسب، بينما الأرنب طويل وقت الجماع والفيلة قصيرة الوقت، كبيرة حجم العضو، يمثلان كارثة زوجية.

وعلى أى حال فإن نظريات علم الفراسة وعلم وظائف الأعضاء، تؤكد أن مثل هذا الكلام، لا يرقى إلى مرتبة البحث العلمى، وأنه مبنى على التخمين. كما تؤكد أن اتخاذ حجم الأعضاء التناسلية سندا لمعرفة الخصائص منهج مضلل. وما من بحث فى

الشرق أو فى الغرب، وضع فى الاعتبار، تزاوج إلفين بقصد المتعة الجنسية وحدها، ولا جعل لها أدنى أهمية. ولعل ذلك يعد التزاما بالشرائع السماوية التى ربطت الجنس بالزواج، وجعلت الزواج سبيلا إلى العفة، والتناسل، وحفظ الأنساب، لا مجرد اللذة والمتعة.

روبرت بورتون والميلانخوليا: فى أوائل القرن السابع عشر جاء علماء السيكوسوماتى- طب الأمراض الجسدية الناشئة عن اضطرابات عقلية- فأثبتوا بطلان ما ذهبت إليه نظريات الأخلاط من أوصاف. بينما ظل غيرهم من العلماء على احترامهم لنظريات الفراسة والأخلاط، حتى العصر الحديث.

كتب "**روبرت بورتون**" فى مؤلفه "**علم تشريح الميلانخوليا**" عام ١٦٢١، يشرح النظريات السابقة، بقصد تشخيص الميلانخوليا وعلاجه، على أنه داء فطرى، يصيب كل إنسان. وجاء وصفه لأنواع الأخلاط أكثر وضوحا وتفصيلا من النظرية ذاتها.

◆ **كتب عن البلغمى يقول:** الرجل البلغمى كسول، ميال للنوم، بارد الطبع، جاف، بليد الحس، أحمق، سريع البكاء. يحب الماء أينما كان فى البرك والبحيرات والأنهار، مغرم بصيد السمك، يميل إلى الشحوب، يعانى من الصداع كثيراً. يعانى من إفرازات العين والأنف أكثر من غيره. قليلا ما يرفع عينيه عن الأرض.

◆ **وعن الدموى يقول:** جسور، وقح، حاد الطبع، يميل إلى العراك، دائم التنكير فى القتال. الرجولة هى التحدى فى نظره، عجول، قاس، عنيف، مخزٍ فى تصرفاته، لا يتورع عن القتل أو الانتحار.

◆ **والسوداوى فى نظر بورتون:** حزين عادة، دائم العزلة، شكاك، خواف، فاسد الخيال، مكتئب يعاف الصحبة، يحلم بالمقابر والموتى، يعتقد أحيانا أنه ميت أو مسحور. يظن أنه يسمع أصواتا غامضة ، وأنه يرى رجالا سود يتحدث معهم . يتخيل أنه يتحدث مع الجن فى ألفة.

◆ **تفاصيل أعضاء الجسم عند توماس هيل:** فى القرن السابع عشر أصدر مؤلفون أوربيون كتبا كثيرة عن الفراسة، اعتمدوا فيها على العلماء الأوائل، ولم يحيدوا عن مسار نظرياتهم إلا بشيء من التفتيح والتوضيح وتوليد ما لديهم من وجهات نظر. من هؤلاء المؤلفين "**توماس هيل**" عام ١٦١٣ إذ أصدر كتابا عنوانه "**تاريخ سار**". فصل فيه- بنظام- أعضاء جسم الإنسان من الرأس حتى القدم- واهتم بالتفاصيل أيما اهتمام. من ذلك ما قاله عن الركبة مثلا:

◆ "الركبة كثيرة الشحم، تشير إلى شخصية مخيفة، ،إباحية، عقيمة، مغرورة غير منتجة".

◆ "الركبة النحيلة قليلة اللحم، تشير إلى شخص قوى، جسور، كثير التحمل للمشاق، كتوم. قادر على المشى مسافات طويلة".

انحراف الفراسة فى أوربا: لم يكتف بعض أصحاب علم الفراسة فى القرون الوسطى بالاستدلال على الأخلاق والقوى من الملامح والأعضاء، بل انحرفوا به إلى التنبؤ بالغيب. واتجهوا إلى الاستدلال بخطوط الكف،وتجاعيد الجبين، وأشكال الأعضاء، على مستقبل الشخص من سعد أو نحس. وخلطوا بين الفراسة والتوقع وغير ذلك، فأصبحت من علوم الشعوذة الخرافية، وتفشى خطرها فى أوربا، مما جعل جورج الثانى ملك إنجلترا، يصدر أمرًا بجلد كل من يتبنى هذا العلم أو يتعامل به. وانضم إليه كثير من الحكام ورجال الدين، فقلت ثقة الناس بالفراسة، وكاد يختفى نتيجة لعدم الاهتمام به.

ظل الحال على ما هو عليه من خمود حتى ظهر"**بيتيسابورتا**" الإيطالى فى أواخر القرن السادس عشر، وكتب رسالة فى الفراسة الإنسانية شرح فيها حقيقة هذا العلم، ونقاه مما علق به من خرافات، وسار على دربة كثيرون ولكنهم لم يوفوا الموضوع حقه.

الوجه والمظهر عند جون كاسبر لافاتر: باحث ألمانى من"**زيورخ**". بحث فى هذا العلم بحثا طبيعيا مبنيا على الفسيولوجيا والتشريح ونواميس الأخلاق وأصدر كتابا عام ١٧٧٢، وجه فيه انتباه العلم الحديث إلى الفراسة، بوصفها وسيلة الكشف عن خصائص وطباع الشخص، بمعاينة وجهه ومظهره العام. يحتوى الكتاب على ٥٠٠ صفحة وحوالى ٦٠٠ صورة لرؤوس أشخاص كنماذج. لا يخلو الكتاب من بعض الأخطاء، وهذا لا يعيبه، لأنه خلاصة مطالعاته وملاحظاته الخاصة عن طريق البحث، وكل بحث يحتاج إلى تنقيح. ويكفى "**لافاتر**" فخرًا أنه قدم أول كتاب استوفى بحث الفراسة، وتأثر به علماء كثيرون ممن أتوا بعده، من بينهم"**بيتر كامبر**" خبير التشريح الألمانى، الذى حاول قياس الذكاء بزوايا الوجه. ومنهم من استدركوا ما أصاب بعض أحكامه من أخطاء، وعلى رأسهم "**صموئيل ولس**"، الذى أصدر فى نيويورك عام ١٨٦٦ كتابا وافيا من ٨٠٠ صفحة تقريبا، وألف رسم.

نتوءات الجمجمة عند جال: "**جال**" عالم فرنسى عابه الاتجاه إلى الدجل العلمى. ربط علم الفراسة بالصبغة التشريحية، وقدم عام ١٨٠٠ علم قراءة نتوءات الجمجمة. تعتمد نظريتة على أن المخ هو مكان العقل، وأن قوة العقل تنقسم إلى قدرات محدودة العدد، كل منها تستتر فى مكان محدد من المخ. حجم هذا المكان يحدد مساحة القدرة المستقرة فيه ونسبتها إلى القوة العقلية. وقال "**جال**": إن التشابه قريب بين مظهر

الجمجمة الخارجى، والمخ داخلها، بحيث يمكن التعرف على أى الأماكن كبيرًا كان أو صغيرًا على سطح المخ. وعلى هذا الأساس قسم "**جال**" سطح المخ إلى حوالى ٣٥ منطقة، كل منها مختصة بقدرة عقلية معينة، مثل: القدرة على العراك، أو الخداع، أو حب التقليد... إلخ.

حدد "**جال**" نتوءا معينا فى رؤوس النساك، وافترض وجود ملكة التدين تحته. ولاحظ أن الشعراء يضعون أصبع السبابة فى مكان على جانب الجبهة، فقرر أن ملكة المثالية تختفى تحته.

تقسيم المخ بهذا الشكل يتنافى مع أبسط المبادئ العلمية فى تشريح المخ، وعلم وظائف الأعضاء،وعلم النفس، مما أدى إلى سوء سمعة هذه الطريقة فى الاستدلال، ومن ثم اندثارها.

فراسة التعبيرات عند بيل، وسبنسر، ودارون: اهتم بالتعبيرات وآثار الانفعالات على الوجه خلال القرن التاسع عشر ثلاثة علماء:

◆ "**سير شارلز بيل**": عالم التشريح الأسكتلندى، درس تعبيرات الوجه، وهو أول من درس الفراسة على أساس فسيولوجي. ألف كتابا عنوانه "**مقالة عن تشريح التعبيرات**". وهو أول كتاب علمى عن المظاهر العضوية للانفعالات، يشرح تأثير الانفعالات على العضلات المختلفة. وكيف تظهر التعبيرات التى تدل على عواطف وانفعالات معينة. صدر هذا الكتاب عام ١٨٠٦

◆ "**هيربيرت سبنسر**": أصدر عام ١٨٥٥ كتابا عن علم النفس، شرح فيه العلاقة بين الحالة النفسية، والمظاهر الجسمانية.

◆ **تشارلز دارون:** سار على درب سبنسر. ألف كتابا عنوانه "**التعبير عن الانفعالات**" عام ١٨٧٢. تحدث فيه عن العلاقة النسبية بين بعض الأفعال والحركات المعقدة، وبين تأثيرات عقلية معينة، وعن العضلات التى تتحكم فى تعبيرات الوجه، والتى تسبب ظهور ثنيات وتجاعيد فيه،وعن انتقال بعض تعبيرات الوجه بالوراثة، إذا وجدت ميولا عقلية موروثة. ويعتبره البعض واضع أسس علم الفراسة الحديثة. ومن ناحية أخرى تعرض لنقد مرير من العالم الإيطالي "**باولو مانتيجاندا**" رئيس الجمعية الإيطالية للأنثروبولوجى.

الوجه عند هارتلى: صدر خلال القرن التاسع عشر كتب عديدة،تحتوى على قواعد ومبادئ، تعلم الشخص كيف يقرأ أخلاق وطباع جيرانه والمتعاملين معه، عن طريق معاينة وجوههم. من بين هذه الكتب كتاب "**الوجه والشكل**" ألفه "**هارتلى**"عام

١٨٨٥. وفيه يعلم القارئ كيف يتأمل الجبهة، والعينين، والحاجبين، والأنف، والفم، والشفتين، والشعر، واليدين، والشكل العام، مع التركيز على الجبهة. وقال:

◆ راقب الجبهة أكثر من أى ملامح أخرى إذا أردت اكتشاف طباع الرجل.

◆ كلما كانت الجبهة طويلة كان الشخص أكثر قدرة على الإدراك والاستيعاب.

◆ ذو الجبهة القصيرة، أو المجعدة، أو المعقودة، أو المضغوطة إلى جانب واحد، عاجز عن عقد صداقة معمرة.

وعن دلالات الحواجب قال:

◆ الحواجب الغليظة المعقودة، ترمز إلى عقل مطابق للوصف.

◆ الحواجب البرية المعقودة، لا تتفق مطلقًا مع طباع لينة لطيفة مرنة.

◆ الرجال ذوو القوة الفكرية، حواجبهم كثيفة، مشوشة، حتى ليظن الرائى أن شخصًا أتلفها بكثرة التدليك أثناء غسل وجهه.

◆ **فراسة الأجسام والأمراض:** كان"**أبو قراط**" قد أعلن نظرية مؤداها أن هناك أمراضًا معينة تتعرض لها أجسام معينة أكثر من غيرها. وقامت هذه النظرية على براهين قوية،من ذلك مثلا:

◆ أصحاب الصدور النحيفة الضيقة، معرضون أكثر للإصابة بالسل، وذات الرئة، وسوء الهضم، واختلال الذهن.

◆ أصحاب الصدور الواسعة العريضة والبنيان الضخم، معرضون أكثر للبول السكرى، والاستسقاء، والسكتة الدماغية، والتهاب الكليتين، وأمراض القلب، والمرارة.

وفى عام ١٩٢٦ قدم "**آرنست كريتشمر**" نظرية مؤداها أن للأمراض العقلية والنفسية علاقة بأنماط أجسام محددة ، منها أن:

◆ مرض الشيزوفرانيا يميل إلى مباغتة الشخص الهزيل.

◆ الاكتئاب والهياج يميلان إلى إصابة الشخص البدين.

أيّد نظرية كريتشمر عدد كبير من المعنيين فى مختلف بلاد العالم، وقدموا أدلة إضافية تؤيد وجهة نظره، لكنه لم يعدم فئة قليلة تعارضه. وقامت صعوبات كثيرة فى اتباع طرق البحث التى تحاول استنباط مضامين من الخصائص البدنية للإنسان. إحدى هذه الصعوبات، هى أن مختلف العلماء مالوا إلى ابتداع مصطلحات مختلفة فى وصف أنماط الأجسام، وإن كانت جميعها لا تخرج عن ثلاثة أوصاف بسيطة هى: نحيف، وعادى، وبدين.

حظيت مختلف النظريات بأبحاث مطولة، جعلت من العسير تلخيصها، لكنها فى مجملها ساقت أدلة على أن الشخص البدين أفضل من النحيف فى الوظائف التى تتطلب أعمالا يدوية أو عضلية، لكنه من ناحية أخرى:

- أقل قابلية للتعليم.
- أكثر عرضة للأمراض.
- أقل رغبة فى النزاع ، وأقل لا مبالاة.
- أقل تعرضًا للهواجس. والانفعال.
- أقل عرضة للصداع، وسوء الهضم.
- لا يتهافت على الزواج.

الفراسة علم وفن

لا جدال فى أن الفراسة علم وضع العلماء قوانينه وقواعده بالملاحظة والتجريب جيلاً بعد جيل من غابر العصور. ولا خلاف فى إمكان الاستدلال على أخلاق الناس وأحوالهم من النظر إلى ظواهرهم. إنك حينما تلتقى برجل لأول مرة، تتفرّس فيه خاصة الوجه. تحكم عليه بالصحة أو المرض، الشجاعة أو الجبن، الطيبة أو الخبث، مستدلاً على ذلك بهامته، وتكوين جمجمته، وتعبيرات وجهه وغير ذلك من الحركات، والإشارات. قد تصدر أحكامك هذه عن علم المبادئ التى استقيتها من حصاد ما جمعه علماء الفراسة ورتبوه، وبوبوه، وأيدوه بالحقائق الطبيعية أو العقلية. وقد تتبادر تلك الأحكام الصائبة إلى ذهنك بوحى الخاطر، وأنت فى الحالة الأولى تتصرف عن علم، وفى الحالة الثانية عن استعداد فطرى وموهبة من جملة مواهب الفنون كالشعر والرسم وغيرها.

والفراسة معترف بها من جميع الأديان. فقد قال تعالى فى كتابه الحكيم: **﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾** [البقرة : ٢٧٣] وقال سبحانه : **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾** [الحجر : ٧٥] .

وقال ﷺ :"**اتقوا فراسة المؤمن**" [١] و"**واطلبوا الخير عند أصحاب الوجوه**" [٢] .

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب التفسير عند سورة الحجر رقم "٣١٢٧" وقال غريب .

(٢) ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها .

obeikandi.com